أدبَرَ... وطغَى... فعقَره الله

بقلم الأستاذ؛ جابر قميحة

كثيرون يعتقدون أن "الردة عن الإسلام" لم تبدأ إلا بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى. وهذا الاعتقاد في صورته العامة لا يتفق مع الواقع التاريخي، وهذه المقولة تقتضينا شيئًا من التحديد، فنقرر في هذا المقام أننا في معالجتنا العلمية للردة يجب أن نفرق بين صورتين لها:

الأولى: الردة في صورتها العَقَدية التي تعني الانسلاخ من الإسلام أو بعض أركانه وخصوصًا الزكاة.

والثانية: الردة في صورتها العسكرية التي تمثلت في جيوش خرجت وتمردت على السلطة المركزية في المدينة.

وتفريقنا بين الصورتين إنما يعتمد على "العنصر الزمني المرحلي"، لا على "صبغة كيفية أو مذهبية", بمعنى أن الردة في صورتها الثانية تحركت من الناحية المذهبية العقدية اعتمادًا على الانسلاخية الكلية أو الجزئية من الإسلام، وإن تأخرت عنها زمنيًا.

وبشيء من التفصيل نقرر أن بوادر الردة "بمفهومها العقدي" ظهرت في العامين الأخيرين, أو العام الأخير من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وربما كان أول من كشف عنها "مسيلمة بن حبيب الحنفي" الذي أطلق عليه بعد ذلك "مسيلمة الكذاب".

ففي العام التاسع من الهجرة جاء "مسيلمة" هذا مع وفد بني حنيفة إلى المدينة، وقادته وقاحته وسوء أدبه إلى أن يردد أمام المسلمين قوله "لو جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته"، ونقل بعض المسلمين للنبي ما يردده مسيلمة، فأشار النبي بيده إلى قطعة من جريد النخل، وقال: (اسمع يا مسيلمة! والله لو سألتني هذه القطعة من جريد ما أعطيتكها، ولن أتعدى أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله).

وأمام هذه المواجهة الصريحة لم ينطق "مسيلمة" بكلمة، وعاد مع قومه بني حينفة إلى بلادهم.. اليمامة وما

حولها، وكانوا من أمنع الناس وأقـواهم وأغنـاهم، وأكـثرهم خيلاً ورجـالاً، وسـلاحًا، وزراعـة، وأعلـن "مسـيلمة" علـى رءوس الأشهاد من قومه أنه "نبي مرسل" وأن الوحي بـدأ في النزول عليه.

ويروى ابن هشام في السيرة النبوية أنـه أرسـل إلـى النبي صلى الله عليه وسلم كتابًا نصه: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله.
سلام عليك.
أما بعد..
فإني قد أُشـرِكْتُ فـي الأمـر معـك، ولقريـش نصـف الأرض، ولكن قريشًا قوم يعتدون).
ورد عليه محمد صلى الله عليـه وسـلم بكتـاب نصـه: (بسم الله الرحمن الرحيم.
من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب.
سلام على من اتبع الهدى.
أما بعد...
فإن الأرض لله يورثها من يشاء مـن عبـاده، والعاقبـة للمتقين).

وبالنظر في سلوك "مسيلمة" وهو في مدينة رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وبـالنظر كـذلك فـي كتـابه إليـه تواجهنا "شخصية منحرفة"، تحكمها "عقدة التعاظم" الـتي تفهم النبوة والرسالة على أنهمـا ملـك وسـلطان، وسـيادة وهيمنـة علـى الأرض، وفـي سـبيل ذلـك تكـون التضـحية بالأخلاقيات النبيلة والقيم العليا أمرًا لا غبار عليه.

بينما نرى في مواجهة الرسول عليه السلام لمسيلمة وهو في المدينة، ومواجهته له بعد ذلـك فـي رده المكتـوب إليه عدة معان وقيم عليا أهمها اثنتان:

الأولى: الصراحة فـي الحـق، ومواجهـة المنحرفيـن والطامعين، والجبارين، دون مواربة أو مصـانعة، أو تفريـط في دين الله.

الثانية: تجنب اللجـاج والجـدل، وخصوصًـا إذا تعلـق الأمر بقضايا أو حقائق جوهريـة واضـحة لا تحتمـل النقـاش مثل؛ سمو النبـوة والرسـالة، ومـا هيـأه اللـه للإنسـان فـي الكون، وجزاء التقوى، وجزاء الكفران والطغيان والجحود .

وينتقل الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم إلـى الرفيـق الأعلى، وتتحول الردة العقدية إلى جيوش وسـلاح، وينهـض أبو بكر رضي الله عنه بالأمر، وينطلق خالد بـن الوليـد إلـى مسـيلمة، وتـدور معـارك مـن أشـرس وأدمـى مـا عـرف التاريخ، وينهزم بنو حنيفـة، ويصـرع مسـيلمة، وترتفـع رايـة الإسلام من جديد، وتصدق في مسيلمة كلمة الرسول عليه السلام: (ولئن أدبرت ليعقرنك الله).

www.tawhed.ws
www.almaqdese.net
www.alsunnah.info
www.abu-qatada.com